الكواكب الدرّيّة في النصوص

على إمام خير البريّة

**تأليف**

**السيّد صلاح بن أبراهيم بن أحمد الحسنى الزيدي**

**المتوفّى أوائل القرن الثامن الهجري**

**تحقيق**

**السيد شهيد الخطيب**

مقـدّمة التحـقيق :

بسـم الله الرحمن الرحـيم

الحمد لله الّذي هدانا بلطفه للاِيمان ، وأوضح لنا سبل البرهان ، وعرّفنا دينه القويم وكتابه ، وما أنزله على نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والحمد لله الّذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين ، وعترته الأنوار الباهرة الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ورزقنا البراءة من أعدائهم بالحجج الدامغة إلى قيام يوم الدين.

أمّا بـعد ..

فالشريعة الاِسلامية هي خاتمة لكلّ الشرائع السابقة ومهيمنة عليها ، وهي الرسالة الجامـعة لكلّ الرسالات السابقة؛ فقد أعادت البشرية إلى الهدى بعد الضلال ، وإلى النور بعد الظلام ، ووضّحت لهم المنهج التكاملي الصحيح وطريق السعادة الكبرى ، واجتثّت رواسب الشرك والوثنية من عقول الجاهلية التي كانت تلهث وراء عبادة الأصنام والأوثان من دون أي تدبّر وتفكّر في أنّها جمادات لا تغن ولا تسمن.

(314)

فوقف صاحب هذه الرسالة الخاتمة أمام هؤلاء ليواجههم بأساليب جديدة للمعالجة ووسائل ناجحة ومتميّزة ، وإعدادهم لمقارعة تلك المفاهيم والتوجّهات الجاهلية ، فنجح في ذلك كلّه وأرسى دعائم الرسالة وقيمها السامية ، فارتقى بهم إلى مدارج الكمال وحوّلهم إلى خير أُمّة أُخرجت للناس فجعلهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..

وقبل أن يلتحق الرسول صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى وضّح للأُمّة المنهج الذي تنتهجه بعده ، والخليفة المؤهّل الذي سيكون بعده صلى الله عليه وآله قائداً مقتدراً لهذه الأُمّة ليوصلها إلى شاطىَ النجاة ، ولم يتركها هملاً بدون هادٍ ومرشـد؛ إذ كان متيقّناً من وجود مَن سيخالفه ، من خلال ظهور بوادر هذا الخلاف في حياته صلى الله عليه وآله ..

فهذا خالد بن الوليد أرسله داعياً لبني جذيمة ولم يرسله مقاتلاً ولكنّ خالد وضع السيف فيهم ليأخذ بثأر عمّه بن المغيرة عندما قتلوه في الجاهليّة ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام ليعطي الدية لهم. وهذا عمر بن الخطّاب يعترض على النبيّ صلى الله عليه وآله في صلح الحديبية ، كما خالف هو مع أبي بكر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يطيعاه عندما أمرهما بقتل الرجل المارق الذي كان يصلّي ، كما أنّهما هربا أكثر من مرّة من الزحف ، وخير مصداق لذلك هو تخلّفهما عن جيش أُسامة ، بل طعنوا حتّى في إمرته.

وأبرز خلاف ظهر بشكل علني بين المسلمين هو قبيل رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، وهو الذي بدأه عمر بن الخطّاب حينما طلب النبيّ صلى الله عليه وآله من الحاضرين أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً ، فقال عمر : إنّ الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله.

(315)

صوافترق المسلمون فرقتين ، إحداهما امتثلت قول عمر ، والأُخرى قالت بوجوب تنفيذ طلبه صلى الله عليه آله ، فكثر اللغط والاختلاف حتّى قال صلى الله عليه وآله : « قوموا عنّي ، لا ينبغي التنازع عندي ».

فخـرج ابن عبّـاس يقـول : إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين كتابه (1) .

وغير ذلك من المخالفات منهما ومن بعض الصحابة.

لكن مع كلّ هذا نجد أنّه صلى الله عليه وآله كان واقفاً على خطورة الموقف ، وعظم مقام القيادة؛ إذ كان يعرِّف للأُمّة إمامها وقائدها والقائم بأعباء الخلافة والاِمامة من بعده حيناً بعد آخر ، وبأساليب متعدّدة مختلفة ..

فتارة يشبّهه بهارون عليه السلام (2) .

وأُخرى يجعله وأولاده : أحد الثقلين والعِدْل للقرآن (3) .

وثالثة بأنّهم كسفينة نوح (4) .

إلى غير ذلك من النصوص الجليّة والواضحة التي تؤكّد وتشير إلى حقيقة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يترك خلافة وإمامة الأُمّة سـدىً ، ولم يفوّضها إلى شورى الأُمّة ومفاوضاتها أو منافساتها ، أو إلى بيعة شخص معيّن ، بل عالجها في حياته بأنجح الطرق وأفضلها ، وبأحسن الأساليب ..

(1) الطبقات ـ لابن سعد ـ 2 | 244 ، صحيح البخاري 1 | 39 كتاب العلم ـ باب 39 ، صحيح مسلم 3 | 1259 ، الملل والنحل ـ للشهرستاني ـ 1 | 22.

(2) المعجـم الكبير ـ للطبراني ـ 4 | 184 ح 4087 ، حلية الأولياء 7 | 196 ، المناقب ـ للمغازلي ـ : 27 ـ 37 ، تاريخ مدينة دمشق 42 | 100 ح 8448.

(3) مسند أحمد 3 | 14 ، المسترشد : 559 ، المستدرك على الصحيحين ـ للحاكم ـ 3 | 109 ، المناقب ـ للمغازلي ـ : 234. (4) العمدة ـ لابن البطريق ـ : 358 ح 693 ـ 697 ، تاريخ بغداد 12 | 91 ، المستدرك على الصحيحين ـ للحاكم ـ 3 | 150 ، الصواعق المحرقة : 234.

(316)

فأوصى بها صلى الله عليه وآله بأمر الله عزّ وجلّ إلى الأئمّة الأطهار : من ولده ، الّذين هم حجج الله في أرضه وحكمهم كحكمه تعالى ، فوجبت طاعتهم بنصّ الكتاب العزيز : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم) (1) ، وأوجب العمل بأوامرهم.

ولقد استفاضت الأدلّة لاِثبات أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يترك الأُمّة بدون هادٍ ومرشد من أوّل دعوته ، ابتداءً بحديث الدار أو إنذار العشيرة (2) ، وختاماً بآية الاِبلاغ وإكمال الدين (3) ، أو بحديث الدواة والكتف وكتابة الكتاب لهم (4) .

وهذه الرسالة التي بين يدي القارىَ العزيز هي للسـيّد صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن يحيى الحسني الزيدي ، يورد فيها بعض هذه الأدلّة المثبتة لاِمامة وخلافة عليٍّ صلى الله عليه وآله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل ، ومن بعده الأئمّة الأطهار :.

المؤلّف في سـطور :

هو السـيّد صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن محمّد بن أحمد ابن يحيى بن يحيى الحسني الزيدي ، من علماء الزيديّة ..

(1) سورة النساء 4 : 59.

(2) الأمالي ـ للشيخ الصدوق ـ : 341 ح 408 ، مسند أحمد 1 | 111 ، تفسير الطبري 19 | 74 ، شواهد التنزيل 1 | 420 ، تاريخ مدينة دمشق 42 | 48 ح 8381 ، كفاية الطالب : 204.

(3) سورة المائدة 5 : 3 و67؛ وراجع تفسير هاتين الآيتين ، وكذلك الكتب التي تروي واقعة الغدير في يوم حجّة الوداع. (4) صحيح البخاري 1 | 39 باب كتابة الصلح ، الملل والنحل ـ للشهرستاني ـ 1 | 22 ، تذكرة الخواصّ : 65 ، الطبقات ـ لابن سعد ـ 2 | 244.

(317)

ذكر محمّـد بن زبارة الحسني اليمني في كتابه المسمّى : ملحق البدر الطالع من بعد القرن السابع قائلاً : إنّ صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين بن يحيى الحسني روى عن : الاِمام المتوكّل على الله المطهّر بن يحيى ، والقاضي ابن يحيى صاحب شعلل ، والأمير الهادي بن تاج الدين ، والسـيّد علي بن المرتضى ... وغيرهم.

وكان علاّمة كبيراً ، ونحريراً خطيراً ، وله رسائل ومسائل ، وهو متمّم شفاء الأمير الحسين بن محمّـد ، وسكن الشرف الأعلى ، وقد أثنى عليه الاِمام المهدي محمّـد بن المهدي في رسالة له سنة 702 ، ومات صاحب الترجمة في أوّل القرن الثامن رحمه الله تعالى (1) .

أقـول :

لا بأس بالوقوف هُنيهة للتنبيه على مسألة مهمّة جدّاً ، وهي : توضيح الفرق بين الزيدية والشهيد زيد بن علي عليه السلام.

الشيعة الاثنا عشرية ترى وتعتقد في زيد غير ما تعتقد به الزيدية ، فالزيـدية تعتقد : إنّ كلّ مَن قام بالسـيف من ذرّية عليّ عليه السلام فهو إمام مفترض الطاعة ، وعلى هذا سيكون زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : هو الاِمام من بعد أبيه ؛ لأنّه نهض بالسيف وقاتل واستُشهد عليه السلام.

أمّا نحن فنعتقد أنّ زيداً نهض بالسيف ليؤدّي واجبه الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والطلب بدم جدّه الاِمام الحسين عليه السلام ، فقتل شهيداً مظلوماً ، ولم يدّعي الاِمامة لنفسه بل كان أعرف الناس بمقام

(1) البدر الطالع ـ للشوكاني ـ (ملحق البدر الطالع 2) : 103 ح 178.

(318)

أخيه الاِمام الباقر وعمّه الاِمام الصادق عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ المفـيد ذلك في كتابه الاِرشاد قائلاً : وكان زيد بن علي بن الحسين عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم ، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً ، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المـنكر ، ويطالب بثارات الحسـين عليه السلام ، واعتقد فيه كثير من الشيعة الاِمامـة ، وكان سـبب اعتقادهـم ذلك فـيه خروجـه بالسـيف يدعو إلى الرضا مـن آل محمّـد فظنّـوه يريـد بذلك نفسه ، ولم يكن يُريدُها به لمعرفـته عليه السلام باستحـقاق أخيه للاِمامـة من قبله ، ووصـيّته عند وفاته إلى أبي عبـد الله عليه السلام (1) .

النسـخة المخطوطة المعتمدة في التحقيق :

في بداية عملي اعتمدت النسخة التي استنسخها السـيّد حسين الحسيني الشيرازي ، في الثالث عشر من شهر شوّال المكرّم لسنة ألف وأربعمائة وخمس هجرية ، المحفوظة في مكتبة مركز إحياء التراث الاِسلامي في مدينة قم المقدّسة ، برقم 476.

ثمّ لاحظت فيها ـ أثناء العمل ـ بعض الأخطاء ، ووجدت بياضات بدل بعض الكلمات التي لم تستنسـخ ، فرجعت إلى النسخة المخطوطة نفسها ، المحفوظة في مكتبة السـيّد شهاب الدين المرعشي النجفي العامّة في مدينة قم ، برقم 840 .. وهي مصوّرة لنسخة محفوظة في مكتبة الجامع الكبير في صنعاء باليمن ، برقم 2 | 722 فهرست مخطوطات الجامع الكبير.

(1) الاِرشاد ـ للشيخ المفيد ـ 2 | 171 وص 172.

(319)

تقع في 24 صفحة ، تبدأ من صفحة 176 ـ 199 ، وكلّ صفحة تحتوي على 19 سطراً.

وفي هذه النسخة المصوّرة واجهت بعض الصعوبات أيضاً ؛ لوجود كثرة السواد وعدم التنقيط في الأغلب ، ولكن بعد التوكّل على الله تعالى والرجوع إلى المصادر التي في متناول أيدينا تغلّبت على كثير منها.

منهجية التحقيـق :

1 ـ تقطيع النصّ وتقويمه.

2 ـ تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

3 ـ توضيح وشرح بعض النصوص.

4 ـ توضيح بعض المفردات اللغوية.

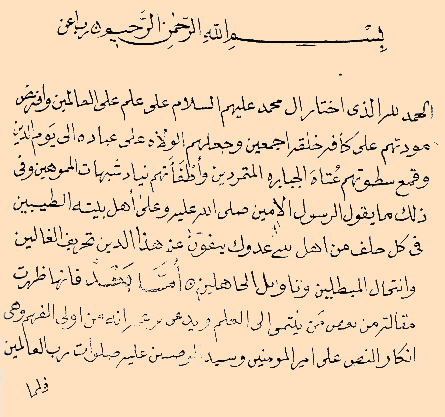
5 ـ ما أضفناه للضرورة جعلناه بين معقوفين.

السـيّد شـهيد الخطيب

20 محرّم الحرام سنة 1424 هـ

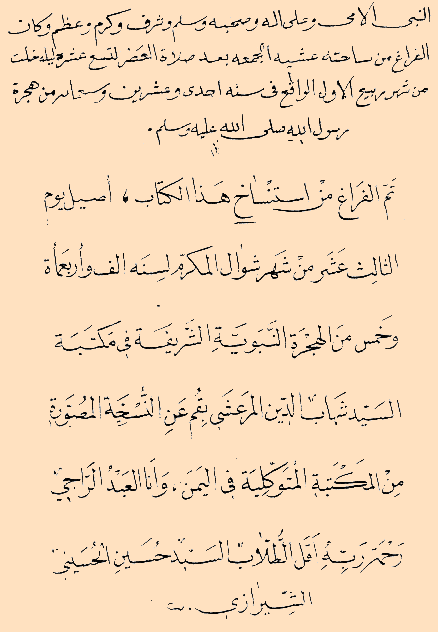
(320)

صـورة الصفحة الأُولى من المخطوطة



(321)

صـورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة



(322)

الكواكب الدُرّيـة

في النصوص على إمامة خير البريّة

وذكر نجاة أتباع الذُرّية

ممّا ولي تأليفه : الأمير المعظّم الكبير ، علم العترة النبويّة ، وتاج الذرّية العلويّة ، صلاح الدنيا والدين ، محيي علوم آبائه الأكرمين :

صلاح ابن أمير المؤمنين إبراهيم بن

أحمد بن محمّـد بن غني بن يحيى ابن

الهادي إلـى الحقّ ابن رسول الله

صلّى الله عليه وعليهم أجمعين.

(323)

بسـم الله الرحمن الرحـيم

ربّ أعن

الحمد لله الذي اختار آل محمّـد عليهم السلام على علمٍ على العالمين ، وافترض مودّتهم على كافّة خلقه أجمعين ، وجعلهم الولاة على عباده إلى يوم الدين ، وقمع بسطوتهم عُتاة الجبابرة المتمرّدين ، وأطفأ بهم نيران شبهات المموّهين ، وفي ذلك ممّا يقول الرسول الأمين صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الطيّبين : « في كلّ خلف من أهل بيتي عدول ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » (1) .

أمّا بـعد ..

فإنّها ظهرت مقالة من بعض من ينتمي إلى العلم ، ويدّعي بزعمه أنّه من أُولي الفهم ، وهي :

إنكار النصّ على أمير المؤمنين وسـيّد الوصيّين عليه صلوات ربّ العالمين.

(1) ورد الحديث في المصادر بزيادة : « ألا إنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله ، فانظروا بمن تفدون في دينكم » ، وسيأتي ذكر هذا الخبر مع هذه الزيادة في ص 378.

راجع هذه المصادر : كمال الدين ـ للشيخ الصدوق ـ : 221 ح 7 ، قرب الاِسناد : 77 ح 250 ، تنبيه الغافلين ـ للبيهقي ـ : 152 ح 63 ، ذخائر العقبى : 17 ، جواهر العقدين 1 ـ ق 2 ـ | 91 ، الصواعق المحرقة : 231.

(324)

فلمّا بلغ ذلك إليّ اعتقدت وجوب الردّ عليه ، وتصويب أسـنّة الطعن والتشنيع إليه ؛ لكون ذلك بدعة يجب إنكارها ، ومقالة يقبح إظهارها ، ولِما روي عن النبيّ صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم أنّه قال : « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً » (1) .

وقصدت بذلك الخروج عن عهدة ما يجب من حقّ أمير المؤمنين عليه السلام ، والتعرّض لِما ورد في الأثر عن سـيّد البشر وهو قوله صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم : « إنّ الله تعالى جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصى كثرةً ، فمن ذكر فضيلة من فضائله غفر الله له ما تقدّم من ذنبه ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر » ..

ثمّ قال : « النظر إلى عليّ بن أبي طالب عبادة ، وذكره عبادة ، ولا يقبل الله إيمان عبد إلاّ بولايته والبراءة من أعدائه » (2) .

ولمّا كان أهل هذه البدعة ينتمون إلى العلم والزهادة ، ويتحلّون في ظاهر أمرهم بالعبادة ، فبُثَّت بدعتهم ، وقُبِلَت شبهتهم ، وكثر اغترار الجاهل بهم ، وذلك مصداق ما قاله أمير المؤمنين ، عليه سلام ربِّ العالمين : « قطع ظهري اثنان : عالم فاسـق يصـدّ الناس عن علمه بفسـقه ، وذو بدعة ناسك

(1) مسند الشهاب 1 | 318 ح 537. وورد بتفاوت يسير في الألفاظ في : تاريخ بغداد 10 | 264 ، حلية الأولياء 8 | 200 ، تاريخ مدينة دمشق 54 | 199 ح 11447 ، كنز العمّال 3 | 82 ح 5598.

(2) الأمالي ـ للشيخ الصدوق ـ : 201 ح 216 ، المناقب ـ للخوارزمي ـ : 2 ، كفاية الطالب : 252 ، فرائد السمطين 1 | 19.

(325)

يدعو الناس إلى بدعته بنسكه » (1) ..

فإذا كان الأمر كذلك فعلى الغافل أن ينظر في معرفة الحقّ ليعرف أربابه ، ومعرفة الباطل لتجنّب نصابه (2) ؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الحقّ لايعرف بالرجال ، وإنّما الرجال يعرفون بالحقّ ، اعرف الحقّ تعرف أهله قلّوا أم كثروا ، واعرف الباطل تعرف أهله قلّوا أم كثروا » (3) .

وإذا أردنا أن نتكلّم في إبطال شبهته ، ومحو بدعته ، أوردنا النصوص الدالّة على إمامة أمير المؤمنين تصريحاً وتعريضاً ، فقلنا : الدليل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بغير فصل : الكتاب ، والسُـنّة ، وإجماع العترة.

أمّا الكتاب :

[ آية الولاية ]

فقوله تعالى : (إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (4) .

ونحن نتكلّم في أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ، ثمّ نتكلّم في دلالتها على إمامته ..

(1) ورد الحديث بألفاظ مختلفة ؛ كما في : الخصال ـ للشيخ الصدوق ـ : 69 ح 103 ، روضة الواعظين : 6 ، منية المريد :

74 ، الصواعق المحرقة : 200.

(2) النصاب : مأخوذ من النصب ، وهو : التعب والعناء ؛ راجع : لسان العرب 1 | 758.

(3) ورد بتفاوت في الألفاظ ؛ وهو : قوله عليه السلام للحارث بن حوط : « يا حارث ! إنّه ملبوس عليك ، إنّ الحقّ لا يعرف بالرجال ، اعرف الحقّ تعرف أهله » ؛ التبيان ـ للشيخ الطوسي ـ 1 | 190 ، مجمع البيان 1 | 188 ـ 189 ، تفسير القرطبي 1 | 340 ، روضة الواعظين : 31 ، الطرائف ـ لابن طاووس ـ : 136 ح 215.

(4) سورة المائدة 5 : 55.

(326)

أمّا أنّها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ، فذلك إجماع العترة الطاهرة ، وهو إجماع أهل النقل كافّة ، وإجماعهم كافٍ في باب الأخبار ، ولو أردنا تفصيل الرواية (1) وأسماء الرواة (2) لطال الكلام ، والغرض الاختصار ، وهو موجود بحمد الله تعالى ومنّه.

وأمّا وجـه الدلالة ، فهو : إنّ الله أثبت الولاية له ولرسوله ولمن آتى

(1) تواترت الأخبار في سبب نزول الآية : دخل سائل فقير إلى مسجد رسول الله 6 وكان المسلمون في تلك الساعة منهمكون بالعبادة والأعمال الأُخرى ، فسأل فلم يعطه أحد شيئاً إلاّ عليّاً عليه السلام ، أعطاه خاتمه وهو في حالة الركوع .. انظر : ما ذكره الحسكاني في شواهد التنزيل 1 | 179 ح 235 ، بالاِسناد إلى أبيذرّ رحـمه الله تعالى ، قال : أما إنّي صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ، وكان عليٌّ راكعاً فأومأ بخنصره إليه ، وكان يتختّم بها ، فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم من خنصره ، فتضرّع النبيّ صلى الله عليه وآله ـبعـد أن سأل مِن السائل وأجابه بأنّ ذلك الراكع هو الذي أعطاني الخاتم ـ إلى اللهعزّ وجلّ ، فقال :

« اللّهمّ إنّ أخـي موسـى سألك ، قال : (ربّ اشرح لي صـدري \* ويسّر لي أمري \* واحلُل عقدةً من لساني \* يفقهوا قولي \* واجعل لي وزيراً من أهلي \* هارون أخي \* اشدد به أزري \* وأشركْه في أمري) ، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً : (سنشـدّ عضدك بأخيك) ، اللّهمّ وأنا محمّـد نبيّك وصفيّك ، اللّهمّ فاشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، عليّاً أخي ، اشدد به أزري ».

قال ـ أبو ذرّ ـ : فوالله ما استتمّ رسول الله الكلام حتّى نزل عليه جبرئيل من عند الله وقال : يا محمّـد ! هنيئاً لك ما وهب لك في أخيك.

قال : وماذا يا جبرائيل ؟

قال : أمر الله أُمّتك بموالاته إلى يوم القيامة ، وأنزل عليك : ( إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ).

وهناك روايات أُخرى وبألفاظ متعدّدة ، وسيذكر المصنّف أحدها في ص 178.

(2) من رواة هذه الواقعة : أبو ذرّ الغفاري ، عمّار بن ياسر ، جابر بن عبدالله الأنصاري ، سلمة بن كهيل ، أنس بن مالك ، ابن عبّـاس ، عمرو بن العاص ، المقداد بن الأسود الكندي ؛ راجع ذلك في : شواهد التنزيل 1 | 173 ح 231 ـ 240.

(327)

الزكاة في حال ركوعه ، وهو أمير المؤمنين دون غيره ، فيجب أن تثبت له الولاية.

والولاية : ملك التصرّف ، وذلك معنى الاِمامة.

أمّا إنّ الله أثبت الولاية له ولرسوله ولمن آتى الزكاة في حال الركوع ، فذلك ظاهر في سياق الآية.

وأمّا أنّ ذلك هو أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فلأنّا قد بيّنّا أنّ الآية نزلت فيه دون غيره. وقد روي أنّ عمر بن الخطّاب قال : تصدّقت بنيّف وعشرين صدقة وأنا راكع لعلّه أن ينزل فيّ ما نزل في عليّ عليه السلام فلم ينزل فيّ شيء (1) .

وأمّا إنّ الولاية ها هنا هي ملك التصرّف ؛ فلوجهين :

أحـدهما : إنّ ذلك هو السابق إلى الاِفهام عند إطلاق هذه اللفظة ، وذلك دلالة كونها حقيقة فيه.

الوجه الثاني : إنّ هذه اللفظة ، وإن كانت مشتركة عادة ، يجب حملها على جميع المعاني ؛ قضاءً لحقّ الاشتراك ؛

إذ لا مانع يمنع من ذلك ، وهي صالحة لاِفادة جميعها ، ولا وجه يقضي تخصيص بعضها دون البعض ..

لأنّا إمّا أن نحملها على جميعها ، فهو الذي نقول.

وإمّا أن لا نحملها على شيء من هذه المعاني ، فيكون ذلك إلحافاً لكلام الحكيم ، ما لهذا (2) والعبث الذي لا فائدة فيه ، وذلك لا يجوز ، فلذلك يجب حملها على جميع المعاني ، وهناك يدخل ملك التصرّف ، وهو الذي أردناه.

(1) شرح الأخبار 2 | 346 ح 697 ، سعد السعود : 196.

(2) في الأصل : ما لهذه ؛ والصحيح ما أثبتناه.

(328)

وأمّا إنّ ذلك معنى الاِمامة ؛ فلأنّا لا نعني بقولنا : « فلان إمام » إلاّ أنّه يملك التصرّف على الناس في أُمور مخصوصة وتنفيذ أحكام شرعيّة ؛ فثبتت دلالة الآية على إمامته عليه السلام.

[ آية الاِنذار ]

ومن ذلك قوله تعالى : (إنّما أنت منذر ولكلّ قومٍ هادٍ ) (1) :

قال صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم لعليّ عليه السلام : « أنا المنذر وأنت الهادي ، بك يهتدي المهتدون من بعدي » (2) .

وعنه صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم أنّه قال : « ليلة أُسـري بي ما سألت ربّي شيئاً إلاّ أعطانيه ، سمعت منادياً من خلفي : يا محمّـد ! إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد ، قلت : أنا المنذر فمن الهادي ؟ قال : عليّ الهادي المهتدي ، القائد أُمّتك إلى جنّتي غرّاء محجّلين برحمتي » (3) .

وفي هذا لطيفة ، وهي : إنّ الرسول صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم المنذر فلا منذر معه في وقته ، فكذلك عليّاً هو الهادي فلا هادي معه في وقته ..

ومصداق ذلك ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم أنّه قال : « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، كذب من زعم أنّه يصل إلى المدينة إلاّمن قبل الباب » (4) ؛ فلا جرم أنّ من قدّم غير أمير المؤمنين فقد خالف

(1) سورة الرعد 13 : 7.

(2) الطرائف ـ لابن طاووس ـ : 79 ح 107 ، تفسير الرازي 19|14 ، تفسير الطبري 13 | 72 ، الدرّ المنثور 4 | 608 ، كنز العمّال 11 | 620 ح 33012.

(3) شواهد التنزيل 1 | 296 ح 403.

(4) المناقب ـ للمغازلي ـ : 85 ح 126 ، العمدة ـ لابن البطريق ـ : 294 ح 486 ، الصراط المستقيم 2 | 20.

(329)

أمر الله ، لأنّه تعالى يقول : (وأتوا البيوت من أبوابها ) (1) .

وأمّا نصوص السُـنّة الشريفة :

فمنها : حديث الغدير (2) :

وهو : ما روي أنّه لمّا نزل قوله تعالى : (يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس) (3) .. الآية ، قام رسول الله صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم بغدير خمّ ، وأخذ بيد عليّ ورفعها حتّى رأى بعضهم بياض إبطه ، ثمّ قال : « ألست أوْلى بكم من أنفسكم؟! » قالوا : بلى يا رسول الله. قال : « اللّهمّ اشهد ». ثمّ قال : « فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » ، فقام عمر فقال : بَخٍ بَخٍ يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة (4) .

(1) سورة البقرة 2 : 189.

(2) تواتر هذا الحديث عند فرق المسلمين كافّة ؛ فقد رواه أئمّة المحدّثين والمؤرّخين والمفسّرين ، مثل : ابن إدريس الشافعي ، أحمد بن حنبل ، ابن ماجة ، الترمذي ، النسائي ، أبو يعلى الموصلي ، الحاكم النيسابوري ، المغازلي ، الكنجي الشافعي ، الذهبي ، المتّقي الهندي ، البلاذري ، ابن قتيبة ، الخطيب البغدادي ، ابن عبـد البرّ ، الشهرستاني ، ابن عساكر ، ياقوت الحموي ، ابن الأثير ، ابن كثير الشامي ، ابن حجر العسقلاني ، ابن الصبّاغ المالكي الحلبي ، الطبري ، الثعلبي ، الواحدي ، القرطبي ، الفخر الرازي ، والآلوسي البغدادي ، وغيرهم.

(3) سورة المائدة 5 : 67.

(4) الأمالي ـ للشيخ الصدوق ـ : 50 ح 2 المجلس الأوّل ، روضة الواعظين : 350 ، العمدة ـ لابن البطريق ـ : 344 ح 667 ، شواهد التنزيل 1 | 158 ح 213.